- **وحدة فقه السيرة النبوية:**

من الميلاد إلى البعثة/ من البعثة إلى الهجرة

- **من الميلاد إلى البعثة:**
- **التعريف بالرسول ﷺ:**

قال ﷺ: « إنَّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» (مسلم)

وفي حديث صحيح آخر: «بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرن حتى كنت من القرن الذي كنت فيه» (البخاري)

وقد أجمع النسابون على نسبه إلى عدنان، وإن لم ينقل حديث صحيح بكامل نسبه، ولكن صحت أحاديث ببعضه، على أن من يعرف مدى اهتمام العرب بأنسابها في عصر النبوة وما قبله يدرك أن سلسلة نسبه إلى عدنان لا تحتاج إلى كبير توثيق، ما دام علماء النسب والأخبار متفقين عليها، وما دامت من المعلوم بالضرورة في ذلك العصر (العمري)

وقد ذهب أهل السير إلى أن نسبه هو: "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان" (البخاري).

وقال ابن القيم: بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضًا: "إلى هاهنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف ألبتة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أنَّ عدنان من ولد إسماعيل - عليه السلام – (زاد المعاد)

وأما أُمُّه آمنةُ بنت وَهْب فإنها من بني زُهرة

- صفته ﷺ

- صفته الجسدية: كان رسول الله من أحسن الناس وجهاً، أبيض اللون بياضاً مزهراً، مستدير الوجه، مليحه، واسع الفم، طويل شق العينين، رجل الشعر - بين الجعودة والسَّبط - يصل إلى شحمة أذنيه، وأحياناً بين أذنيه وعاتقه، وقد يمتد حتى منكبيه أحياناً

أخرى، ولم يشب شعره الأسود إلا اليسير منه، حيث قدر شيبه في أواخر عمره بعشرين شعرة موزعة في الرأس وتحت الفم والصدغين، ويميل اللون إلى الحمرة في بعض شعره من أثر الطِّيب.

وكان متوسط القامة، متوسط الوزن، ليس بالنحيف ولا الجسيم، عريض الصدر ضخم اليدين والقدمين، مبسوط الكفين، كفاه لينتان، قليل لحم العقبين، يحمل في أعلى كتفه اليسرى خاتم النبوة وهو شعر مجتمع كالزر (السيرة النبوية الصحيحة للعمري)

صفته النفسية:

عن عطاء بن يسار قال: «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقلت: "أخبرني عن صفة رسول الله - ﷺ - في التوراة، فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: "يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا» (البخاري)

- مولده ﷺ
- ولد ﷺ، يوم الإثنين، ليلة الثاني عشر من ربيع الأول.

قال خليفة بن الخياط: والمجمع عليه أنه صلى عليه السلام ولد عام الفيل. (صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم العلي، ص: ٤٧)

- من حديث قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رضي الله عنه، قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، فنحن لدان، ولدنا مولدا واحدا
- قال ﷺ عن سبب صيامه الإثنين: ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو أنزل على فيه.(رواه مسلم)
-

- **٢-** أنه نشأ يتيما، فقد مات أبوه عبد الله وأمه حامل به لشهرين فحسب، ولما أصبح له من العمر ست سنوات ماتت أمه آمنة فذاق ﷺ في صغره مرارة

الحرمان من عطف الأبوين وحنانهما، وقد كفله بعد ذلك جده عبد المطلب، ثم توفي ورسول الله ﷺ ابن ثمان سنوات، فكفله بعد ذلك عمه أبو طالب حتى نشأ واشتد ساعده، وإلى يتمه أشار القرآن الكريم بقوله: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} [الضحى:٦].

- أمضى رسول الله ﷺ السنوات الأربع الأولى من طفولته في **الصحراء في بني سعد**، فنشأ قوي البنية، سليم الجسم، فصيح اللسان، جريء الجنان، يحسن ركوب الخيل على صغر سنه قد تفتحت مواهبه على صفاء الصحراء وهدوئها، وإشراق شمسها ونقاوة هوائها.

- كانت تعرف فيه النجابة من صغره، وتلوح على محياه مخايل الذكاء الذي يحببه إلى كل من رآه، فكان إذا أتى الرسول وهو غلام جلس على فراش جده، وكان إذا جلس عليه لا يجلس معه على الفراش أحد من أولاده (أعمام الرسول)، فيحاول أعمامه انتزاعه عن الفراش، فيقول لهم عبد المطلب: دعوا ابني، فوالله إن له لشأنًا.

أنه عليه الصلاة والسلام كان يرعى في أوائل شبابه لأهل مكة أغنامهم بقراريط يأخذها أجرا على ذلك، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «ما من نبي إلا قد رعى الغنم» قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا» وفي رواية أخرى أنه قال: «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم» فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ فأجاب: «وأنا رعيتها لأهل مكة على قراريط» ثم لما بلغ من عمره خمسا وعشرين، عمل لخديجة بنت خويلد في التجارة بما لها على أجر تؤديه إليه.

- كان معصوما من الأخطاء التي كان يقع فيها الشباب عادة في زمن الجاهلية، إذ لم يشارك عليه الصلاة والسلام أقرانه من شباب مكة في لهوهم ولا عبثهم، وقد عصمه الله من ذلك، فقد استفاض في كتب السيرة أنه سمع وهو في سن الشباب غناء من إحدى دور مكة في حفلة عرس، فأراد أن يشهدها، فألقى الله عليه النوم، فما أيقظه إلا حر الشمس، ولم يشارك قومه في عبادة الأوثان، ولا أكل شيئا مما ذبح لها، ولم يشرب خمرا، ولا لعب قمارا، ولا عرف عنه فحش في القول، أو هُجر [قبحٌ] في الكلام

- **الذكاء والفطنة وسرعة البديهة:**

- وعرف عنه منذ إدراكه رجحان العقل، وأصالة الرأي، وفي حادثة وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة دليل واضح على هذا، فقد أصاب الكعبة سيل أدى إلى تصدع جدرانها، فقرر أهل مكة هدمها وتجديد بنائها، وفعلوا، فلما وصلوا إلى مكان الحجر الأسود فيها اختلفوا اختلافا شديدا فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، وأرادت كل قبيلة أن يكون لها هذا الشرف، واشتد النزاع حتى تواعدوا للقتال، ثم ارتضوا أن يحكم بينهم أول داخل من باب بني شيبة، فكان هو رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا:

هذا الأمين، رضينا بحكمه، فلما أخبر بذلك، حل المشكلة بما رضي عنه جميع المتنازعين، فقد بسط رداءه ثم أخذ الحجر فوضعه فيه، ثم أمرهم أن تأخذ كل قبيلة بطرف من الرداء، فلما رفعوه وبلغ الحجر موضعه، أخذه ووضعه بيده، فرضوا جميعا، وصان الله بوفور عقله وحكمته دماء العرب من أن تسفك إلى مدى لا يعلمه إلا الله.

حسن الخلق والأمانة:

عرف عليه الصلاة والسلام في شبابه بين قومه بالصادق الأمين، واشتهر بينهم بحسن المعاملة، والوفاء بالوعد، واستقامة السيرة، وحسن السمعة، مما رغب خديجة في أن تعرض عليه الاتجار بمالها في القافلة التي تذهب إلى مدينة (بصرى) كل عام على أن تعطيه ضعف ما تعطي رجلا من قومها، فلما عاد إلى مكة وأخبرها غلامها ميسرة بما كان من أمانته وإخلاصه، ورأت الربح الكثير في تلك الرحلة، أضعفت له من الأجر ضعف ما كانت أسمت له، ثم حملها ذلك على أن ترغب في الزواج منه، فقبل أن يتزوجها وهو أصغر منها بخمسة عشر عاما، وأفضل شهادة له بحسن خلقه قبل النبوة قول خديجة له بعد أن جاءه الوحي في غار حراء وعاد مرتعدا: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل (الضعيف)، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

- **اشتغاله بالتجارة ونجاحه فيها:**

- سافر مرتين خارج مكة، أولاهما مع عمه أبي طالب حين كان عمره اثنتي عشرة سنة، وثانيتهما حين كان عمره خمسا وعشرين سنة، متاجرا لخديجة بمالها، وكانت كلتا الرحلتين إلى مدينة (بصرى) في الشام، وفي كلتيهما كان يسمع من التجار أحاديثهم، ويشاهد آثار البلاد التي مر بها، والعادات التي كان عليها سكانها.

- **حبه ﷺ للخلوة والتفكر:**

حبب الله إليه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة بسنوات أن يخرج إلى غار حراء - وهو جبل يقع في الجانب الشمالي الغربي من مكة، على قرب منها- يخلو فيه لنفسه مقدار شهر - وكان في شهر رمضان- ليفكر في آلاء الله، وعظيم قدرته، واستمر على ذلك حتى جاءه الوحي، ونزل عليه القرآن الكريم، فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت **أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء** فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى**خديجة** فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار. (البخاري)

- **الدروس والعبر:**

- **<u>مركزية الشرف في القوم على تأثير الداعية في الناس</u>**، ولذلك كان أول ما سأل عنه هرقل أبا سفيان بعد أن أرسل الرسول إلى هرقل كتابا يدعوه فيه إلىالإسلام هو وقومه: كيف نسبه فيكم؟ فأجاب أبو سفيان وهو يومئذ على شركه: هو من أشرفنا نسبا، ولما انتهى هرقل من أسئلته لأبي سفيان، وسمع جوابه عنها، أخذ يشرح له سر الأسئلة التي توجه بها إليه حول محمد « رسول الله ﷺ» فقال له هرقل: سألتك كيف نسبه فيكم؟ فزعمت أنه من أشرفكم نسبا، وكذلك لا يختار الله النبي إلا من كرام قومه، وأوسطهم نسبا.

- وهذا لا يعني أن الدعوة ترتكز على النسب فقط، وأنما هذا من كمالات الدعوة، وإلا فيوسف كان عبدا ولكن أثر في الناس...

- بركة رسول الله ﷺ وفضله، من خلال ما رأته حليمة السعدية.

- وألا نتشاءم من أحد، إذ قد يكون هو ذاته باب الفرج بعد الله تعالى.

- الابتلاء يبني القلوب المؤمنة:
- ابتلاء الله تعالى للرسول ﷺ (يتم، فقر، معاناة، ضيق ذات اليد...) يدل على:
- أن الابتلاء لإعداده ﷺ لتحملات تبعات الدعوة والصبر عليها.
- ترك ما عدا الله والارتباط بالله سبحانه وتعالى.
- تقديم نموذج لكل من ضيق عليه ليعلم أنه لم يعاني مثل ما عانى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليواسي كل من أصيب بمصيبة ولا يرتاب في أمر الله إذ إن مسه اليتم فقد سبقه المصطفى، وإن عضه الفقر فقد سبقه رسول الله، وإن قلاه الناس فقد سبقه وسول الله ﷺ.
- أن يتذكر عن تولي المسؤولية الفقراء ويحس بما يعيشونه من ضيق.
- كلما عاش الداعية في جو أقرب إلى الفطرة، وأبعد عن الحياة المعقدة، كان ذلك أدعى إلى صفاء ذهنه، وقوة عقله وجسمه ونفسه، وسلامة منطقه وتفكيره، ولذلك لم يختر الله العرب لأداء رسالة صدفة ولا عبثا، بل لأنهم كانوا بالنسبة إلى من يجاورهم من الأمم المتمدنة أصفى نفوسا، وأسلم تفكيرا، وأقوم أخلاقا، وأكثر احتمالا لمكاره الحروب في سبيل دعوة الله ونشر رسالته في أنحاء العالم.
- لا يتأهل لمركز الدعوة وقيادتها إلا الذكي النبيه، فالأغبياء والمتوسطون في نجابتهم أبعد الناس عن جدارة القيادة الفكرية، أو الإصلاحية، أو الروحية، بل إن من سنن الحياة ألا يتمكن من القيادة في أي ناحية من نواحي الحياة عن جدارة واستحقاق الأغبياء والمضطربون في تفكيرهم، والشاذون في آرائهم، وإذا واتت الصدفة أو الظروف واحدا من هؤلاء، فحملته إلى مركز القيادة، فسرعان ما يهوي إلى الحضيض ويتخلى عنه قومه بعد أن تدلهم أفعاله على غباوته، أو شذوذه، أو اضطراب تفكيره.
- لا بد للداعية أن يكون عزيز النفس، ومستقلا عن غيره، يأكل من كد يده مما شرف من الأعمال، ولا يرضى بأن يمد يده إلى غيره، لأن ذلك مما يؤدي إلى إذلاله والحط من قيمته، والتدخل في آرائه وفقدانه لاستقلالية فكره ورأيه.

- الداعية المستقيم في شبابه، فإنه يظل أبدا رافع الرأس ناصع الجبين، لا يجد أعداء الإصلاح سبيلا إلى غمزه بماض قريب أو بعيد، ولا يتخذون من هذا الماضي المنحرف تكأة للتشهير به، ودعوة الناس إلى الاستخفاف بشأنه.
- إن تجارب الداعية بالسفر، ومعاشرة الجماهير، والتعرف على عوائد الناس وأوضاعهم ومشكلاتهم، لها أثر كبير في نجاح دعوته، فالذين يخالطون الناس في الكتب والمقالات دون أن يختلطوا بهم على مختلف اتجاهاتهم، قوم مخفقون في دعوة الإصلاح، لا يستمع الناس إليهم، ولا تستجيب العقول لدعوتهم، لما يرى فيهم الناس من جهل بأوضاعهم ومشكلاتهم، فمن أراد أن يصلح المتدينين عليه أن يعيش معهم في مساجدهم، ومجالسهم، ومجتمعاتهم، ومن أراد أن يصلح حال العمال والفلاحين، عليه أن يعيش معهم في قراهم، ومصانعهم، ويؤاكلهم في بيوتهم، ويتحدث إليهم في مجتمعاتهم، ومن أراد أن يصلح المعاملات الجارية بين الناس، عليه أن يختلط بهم في أسواقهم، ومتاجرهم، ومصانعهم، وأنديتهم، ومجالسهم...
- أهمية الخلوة في :
- تمكين الداعية من التأمل والتدبر، الذي يحتاج إلى صفاء الذهن.
- حاجة الداعية إلى الخلوة بنفسه لتأمل أحوالها، قصد إصلاحها، وإلا ضيعها في زحمة مشاكل الحياة وصخبها.
- أهمية التأمل في الكون في الوصول إلى معرفة الله واكتشاف حقائق وأسرار هذا الكون.

من البعثة إلى الهجرة:

أولا: إرهاصات النبوة:

بعد استكماله ﷺ الشرطين المتعلقين:

- بالتكوين الذاتي الخاص المؤهل للقيادة وحمل الرسالة (البعد الخلقي والخلقي والعاطفي والنفسي والعقلي، وكلها تتداخل فيها الظروف البيئية والوراثية والرعاية الربانية)

- معرفة الآخر والاطلاع على العالم وواقعه، (الذي يضطرب فيه عبر دوائره التي تبدأ بعلاقاته الضيقة ثم تتسع عبر الإقليم والوطن والجماعة والشعب والأمة، لكي تشمل العالم كله)

يقول عماد الدين خليل: : ومن ثم، فإن أي حوار ينفتح بين الإنسان والعالم سوف لن يبعث أبطالا إن لم يكن كلا القطبين مهيأ لإنجاز ذلك الحوار» (دراسة في السيرةص:٣٩)

وقد استمر ذلك طوال أربعة عقود من التكوين والبناء، مما يطرح السؤال: لم لم يبدإ الدعوة وهو شاب جلد، ﷺ؟؟

- **مرحلة الإعداد النهائية:**

رغم توفر البعدين السالفين، لا يمكن أن تكتمل سمات الرسول القائد إلا بالبعد الثالث وهو البعد الروحي، وهو أشدها ثقلا، وذلك ماجسده خروجه صلى الله من مجتمع أحس فيه بالغربة، غربة تضاربت فيه الروح النقية مع الوثنية، العقل مع الخرافة، الروح مع المادة، فاقتضى الأمر الخروج والعزلة والتأمل، وتلك هي المرحلة الثالثة التي يبينها الحديث، عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: (كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ. فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ، (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ أُولاَتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ)

دلالات هذه المرحلة:

- أهمية التامل في حياة الداعية والمصلح في كل حال وعند اضطراب أحوال الناس
- هي دلالة على المفارقة المهيئة للمفاصلة
- تهييء بالرؤيا لرسول الله ﷺ حتى لا يفزع من الوحي
- أهمية ودلالة زمن الخلوة

ثانيا بدء تنزل الوحي وكيفيته:

- في تمام الأربعين من عمر رسول الله ﷺ يأتيه الوحي، عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ... حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ" قَالَ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: "أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي" وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ. قَالَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلاَّ. أَبْشِرْ. فَوَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدا. وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى. وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ، أَخِي أَبِيهَا. وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ. وَكَانَ شَيْخا كَبِيرا قَدْ عَمِيَ. فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ. قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَآهُ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى. يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعا. يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟" قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرا مُؤَزَّرا". وفي رواية للبخاري: "ثم لم يَنشَبْ ورقةُ أنْ تُوفيَ وَفَتَر الوحْي فتْرةً حتى حَزِن رسولُ الله ﷺ".

- **فترة الوحي**

قال ابن حجر: وكان ذلك [أي انقطاع الوحي أيامًا]؛ ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع، وليحصل له التشوف إلى العود، فلما حصل له ذلك وأخذ يرتقب مجيء الوحى أكرمه الله بالوحي مرة ثانية. قال: ﷺ:

- (جاورت بحراء شهرًا فلما قضيت جوارى هبطت [فلما استبطنت الوادي] فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أرشيئًا، فرفعت رأسى فرأيت شيئًا، [فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فَجُئِثْتُ منه رعبًا حتى هويت إلى الأرض] فأتيت خديجة فقلت: [زملوني، زملوني]، دثرونى، وصبوا على ماء باردًا)، قال: (فدثرونى وصبوا على ماء باردًا، فنزلت: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: ١: ٥]) وذلك قبل أن تفرض الصلاة، ثم حمى الوحى بعد وتتابع.

الدلالات:

- دلالة نزول الوحي على النبي ﷺ في سن الأربعين
- دلالة نزول الوحي في غار حراء، وأهمية تحميل الرسالة في الحالة النفسية والمكان الملائم بعد طرح السؤال واشتياق الجوارح للمعرفة وامتلائها بحب التغيير
- دلالة طريقة نزول الوحي الشديدة
- أهمية الإيمان بالفكرة في الدفاع عنها والتضحية لأجلها
- الحكمة من فترة الوحي
- أهمية المرأة المساندة المثبتة المساعدة في الدعوة الإسلامية، توجه خديجة به صلى الله عليه وسلم إلى ورقة الذي قال:

ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي ... حديثك إن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قسّ ... من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود يوماً ... ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور ... يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خساراً ... ويلقى من يسالمه فلوجا
فيا ليتني إذا ما كان ذاكم ... شهدت وكنت أولهم ولوجا
أرجّي بالذي كرهوا جميعاً ... إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا

وهـــل أمـــر الســـفاهة غيـــر كفـــر ... بمـــن يختـــار مـــن ســـمك البروجـــا
فـــإن يبقـــوا وأبـــق تكـــن أمـــور ... يضـــج الكـــافرون لهـــا ضـــجيجا
وإن أهلـــك فكـــل فتـــى ســـيلقى ... مـــن الأقـــدار متلفـــة خروجـــا

وممات ورقة في فترة الوحي، رضي الله عنه، قبل نزول الفرائض والأحكام

- إعداد المصلح للتحديات منذ البدء

من البعثة إلى الهجرة: مراحل الدعوة النبوية قبل الهجرة

كان عمر الدعوة الإسلامية ثلاثا وعشرين سنة، منها ثلاثة عشر سنة في المرحلة المكية، منها ثلاث سنوات جسدت المرحلة السرية وعشر سنوات من الدعوة الجهرية، ثم بعدها عشر سنوات من المرحلة المدنية (بعد الهجرة)

الدعوة السرية:

استمرت الدعوة السرية ثلاث سنوات يدعو ﷺ من يثق في إسلامهم، لقوله تعالى: (أنذر عشيرتك الأقربين)

- **الرعيل الأول من المسلمين:**

عرض - ﷺ - الإسلام على ابن عمّه علي بن أبي طالب ، فسارع إلى الإجابة على الرغم من صغر سنّه ، ثم أسلم مولاه زيد بن حارثة ، وأسلمت بناته زينب وأم كلثوم وفاطمة ورقيّة رضي الله عنهنّ ، وبذلك حاز بيت النبوّة على شرف الأسبقيّة في الإسلام .

وبعد ذلك انتقل النبي - ﷺ - إلى دائرة أصحابه ومعارفه ، فدعا أبا بكر رضي الله عنه ، الذي لم يتردّد لحظةً في تصديقه والإيمان به ، وقد حفظ النبي - صلّى الله عليه وسلم - له هذا الفضل فقال : (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة، وتردّد ونظر ، إلا أبابكر) رواه ابن إسحاق .

وكان في إسلام أبي بكر رضي الله عنه فاتحة خيرٍ على الإسلام ودعوته ، فقد كانت قريشٌ تحبّه لسعة علمه وحسن ضيافته ، ومكانته كرجلٍ من كبار التجّار الذين لهم ثقلٌ في المجتمع المكّي، ولذلك استجاب له الكثير من الناس، ومنهم: عثمان بن عفّان، و طلحة بن عبيد الله، و الزبير بن العوّام، و سعد بن أبي وقاص، و عبدالرحمن بن عوف، و عثمان بن مظعون، و أبو سلمة بن عبد الأسد، و أبو عبيدة بن الجراح، و الأرقم بن أبي الأرقم، و خبّاب بن الأرت، و عمار بن ياسر وأمّه، رضي الله عنهم أجمعين.

وسارع كل واحدٍ من هؤلاء إلى دعوة من يطمئنّ إليه ويثق به ، فأسلم على أيديهم جماعة من الصحابة ، حتى وصل عدد الذين أسلموا في تلك الفترة - وفقاً لمصادر

السيرة - ما يزيد على الأربعين ما بين رجلٍ وامرأة، وهؤلاء هم السابقون الأوّلون الذين ذكرهم الله عزّوجل في قوله:(والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار) (التوبة: 100)

- فكان الصحابة يصلون الصلاة ركعتين، وهم متخفين من قريش، قال سعيد بن زيد: استخفينا بالإسلام سنة ما نصلي إلا ببيت مغلق أو شعب خال ينظر بعضنا لبعض
- اتخاذه دار الأرقن بن أبي الأرقم للتخفي والتربية

<u>دلالة ذلك:</u>

- الحكمة من المرحلة السيرة:

- عدم إثارة قريش على الدعوة وهي في مهدها لم تتمكن بعد في الرعيل الأول الذي يحملها، وحمايتهم من الفتنة

- حماية الدعوة من الاستئصال في بداياتها

- تمكين النواة الصلبة للدعوة من الصحابة من تلقي الدعوة ورسالاتها في هدوء، مما يمكن من حسن استيعابها، وعدم حمل الرسالة في جو يسوده رد الفعل

- الحكمة من عدم إطالة المرحلة السرية:

- تجنب أخطار العمل السري الذي يؤدي إلى صناعة جماعة معزولة عن المجتمع تفتقد إلى القدرة على التواصل مع الناس، وإلى ظهور أمراض السرية وهي الشك والتمركز حول التنظيم وبناء الفكر الانعزالي المؤدي إلى التكفير وشيوع الأمراض التنظيمية في صف الدعوة الإسلامية.

- تجنب سوء فهم المجتمع لهذه الدعوة الوليدة وتجنب إثارة الشبه حولها.

- ضعف بلاغ الدعوة الإسلامية وانحسارها...

فبعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية وكثرة المنتسبين لهذه الدعوة الوليدة، جاء الأمر بالصدع بالدعوة، قال ابن حجر العسقلاني: «ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من النساء والرجال حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدّث به. فأمر الله

رسوله أن يصدع بما جاءه من الحق، وأن يبادي الناس بأمره وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه. ثم قال الله له: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [الحجر ١٥/ ٩٤] .

وبعد ذلك بدأ رسول الله صلّى الله عليه وسلم بتنفيذ أمر الله تعالى في الدعوة الجهرية، فاستجاب لقوله تعالى: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ بأن صعد على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي، حتى اجتمعوا، فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر: ما هو؟ فقال النبي صلّى الله عليه وسلم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم.. ألهذا جمعتنا؟» . فنزل قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) .

ثم نزل الرسول فاستجاب لقوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) بأن جمع من حوله جميع ذويه وأهل قرابته وعشيرته، فقال: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلّها ببلاها» .

وقد رفض كثير من سادة قريش هذه الدعوة بمبررات واهية، تجلت في دعوى الحفاظ على دين الأجداد وتقاليدهم، رفض خرق عادات المجتمع التي دأب الناس عليها، ومنها: التراتبية المجتمعية والقوانين لقبلية...، وقد أشار الله تعالى بذلك،ف قال عز وجل في حقهم:(وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ، قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ)!؟

وبعد ذلك اشتدت عداوة قريش لهذه الدعوة الوليدة لتي شكلت خطرا على مصالح كثير منهم.

الدلالات

- بيان أن الدعوة الإسلامية تميزت بالبعد عن التقاليد والطائفية والقبلية، وجاءت مرتبطة بأرقى تجليات العقل والتفاعل الإنسانيين، قال البوطي: «**إنه الدين الذي جاء لتخليص العقل من براثن التقاليد، كما رأينا في أولى خطوات الدعوة التي قام بها رسول الله صلّى الله عليه وسلم، أما التقاليد، فإنما هي تلك التيارات السلوكية التي ينجرف فيها الناس تلقائيا بمجرد باعث المحاكاة والتقليد لدى الإنسان.**»**(فقه السيرة)**

- بدأ العداوة والحرب على الدعوة الإسلامية لمخالفتها مصالح القوم وعدم إمكان الجمع بينها وبين هذه الأهواء والمصالح الفئوية والشخصية والطبقية.

- السبب: عدم إمكان التوفيق بين العقيدة المنبنية على الروح والعقل، والتي تتجاوز الزمن والتقاليد البالية، والتقاليد الحاكمة التي تلغي العقل وتقتضي المحاكاة والمتابعة معا

- ومن ثم بدأت الحرب على الدعوة الإسلامية وتنوعت إلى حرب إعلامية وحرب اجتماعية واقتصادية

- فبدأ الإيذاء الجسدي للرسول ﷺ وأصحابه، قال البوطي: (ثم إن قريشا اشتدت في معاداتها لرسول الله صلّى الله عليه وسلم وأصحابه. أما رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فقد لاقى من إيذائهم أنواعا كثيرة. من ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: «بينا النبي صلّى الله عليه وسلم يصلي في حجر إسماعيل إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي صلّى الله عليه وسلم وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟». ومنه ما روى عبد الله بن عمر قال: «بينا النبي صلّى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش، جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر النبي صلّى الله عليه وسلم، فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة رضي الله عنها فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك»، ومنه ما كانوا يواجهونه به من فنون الهزء والغمز واللمز كلما مشى بينهم أو مرّ بهم في طرقاتهم أو نواديهم.) (فقه السيرة)

- وقد اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ، حتى ضاقت عليهم مكة بما رحبت، وذلك ما جسده حديث الإمام البخاري عن خبّاب بن الأرتّ أنه قال: «أتيت النبي

صـلّى الله عليـه وسـلم وهـو متوسـد بـردة وهـو فـي ظـل الكعبـة، وقـد لقينـا مـن المشـركين شـدة، فقلـت يـا رسـول الله: ألا تـدعو الله لنـا؟ فقعـد وهـو محمـر الوجه، فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينـه، وليتّمن الله هذا الأمر حتـى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله»

أنواع مواجهة الدعوة المحمدية

تعددت أساليب مواجهة الرسول ﷺ، ونذكر منها:

- سياسات المواجهة: المفوضات والإغراء:
- عرض عليه الكف عن سب الآلهة مقابل السلم
- عرض عليه المناصفة بين الإسلام وعوائد الكفر
- عرض عليه المال والجاه والرئاسة على ترك الدعوة، روى ابن هشام عن ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة- وكان سيدا ذا بصيرة ورأي في قومه- قال في نادي قريش: «يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أمورا لعلّه يقبل بعضها فنعطيه أيّها شاء ويكف عنا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلّمه، فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال: يا بن أخي، إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم.. فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد، أسمع، قال يا بن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه

قال له رسول الله صلّى الله عليه وسلم: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم.. قال: فاسمع مني. ثم قال:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، حم، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ، وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ. قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) .

ثم مضى رسول الله في القراءة وعتبة يسمع حتى وصل إلى قوله تعالى: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ [فصلت 41/ 13] فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحم أن يكف عن القراءة، وذلك خوفا مما تضمنته الآية من تهديد. (سيرة ابن هشام)

- التعجيز

قال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل عليّ كتابا وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه علي، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»، فقالوا له: «فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيّر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليفجر لنا أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن بعث لنا منهم قصيّ بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل وليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي.. فإن صنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وأنه بعثك رسولا كما تقول»، فقال لهم: «ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا» .

ثم إنهم قالوا له- بعد طول كلام وخصام-: «إنا قد بلغنا أنه إنما يعلّمك هذا، رجل في اليمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلك أو تهلكنا. ثم قاموا وانصرفوا عنه»

وطلبوا منه العذاب: أن يسقط عليهم السماء كسفًا، كما يقول ويتوعد، فقال: (ذلك إلى الله، إن شاء فعل). فقالوا: أما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك ونطلب منك، حتى يعلمك ما تراجعنا به، وما هو صانع بنا إذا لم نقبل.

- الحرب النفسية:

✓ الاتهام بالسحر والجنون

✓ الاتهام بالكذب

- الحرب الاقتصادية والاجتماعية (7 هـ):

- إبرام وثيقة المقاطعة، ورد بأسانيد مختلفة عن موسى بن عقبة، عن ابن إسحاق، وعن غيرهما، أن كفار قريش أجمعوا أمرهم على قتل رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وكلموا في ذلك بني هاشم وبني المطلب، ولكنهم أبوا تسليمه صلّى الله عليه وسلم إليهم.

فلما عجزت قريش عن قتله صلّى الله عليه وسلم أجمعوا على منابذته ومنابذة من معه من المسلمين ومن يحميه من بني هاشم وبني المطلب، فكتبوا بذلك كتابا تعاقدوا فيه على ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدعوا سببا من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة، حتى يسلم بنو المطلب رسول الله صلّى الله عليه وسلم إليهم للقتل، وعلقوا الكتاب في جوف الكعبة.

والتزم كفار قريش بهذا الكتاب ثلاث سنوات، بدءا من المحرم سنة سبع من البعثة إلى السنة العاشرة منها، وقيل بل استمر ذلك سنتين فقط.

- فاجتمعوا في خيف بني كنانة من وادى المُحَصَّبِ فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق (ألا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل). قال ابن القيم: يقال: كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم، ويقال: نضر بن الحارث، والصحيح أنه بَغِيض بن عامر بن هاشم، فدعا عليه رسول الله ﷺ فَشُلَّتْ يده.

تم هذا الميثاق وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب، مؤمنهم وكافرهم ـ إلا أبا لهب ـ وحبسوا في شعب أبي طالب، وذلك فيما يقال: ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة. وقد قيل غير ذلك

- معاناة المسلمين في ذلك

فجهد النبي صلّى الله عليه وسلم والمسلمون جهدا شديدا في هذه الأعوام الثلاثة واشتد عليهم البلاء، وفي الصحيح أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر. وذكر السهيلي أنهم كانوا إذا قدمت العير مكة، يأتي أحد أصحاب رسول الله إلى السوق ليشتري شيئا من الطعام يقتاته لأهله، فيقوم أبو لهب فيقول: «يا معشر التجار غالوا

على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا معكم» ، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا، حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به.

- نقض الصحيفة: ثم إن خمسة من رؤساء المشركين من قريش، مشوا في نقض الصحيفة، وإنهاء هذا الحصار، وهم: هشام بن عمرو بن الحارث، وزهير بن أمية، والمطعم بن عدي، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود.

الدلالات والعبر

- ✓ تمحيص المسلمين
- ✓ بناء الأمة الرسالية المحتسبة في سبيل دعوتها
- ✓ صدق المسلمين في دعوتهم

الهجرة إلى الحبشة، الدلالات والعبر:

اشتداد المحنة والهجرة إلى الحبشة:

- قال تعالى: (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون)

قال القرطبي المراد أصحاب محمد ﷺ، ظلمهم المشركون بمكة وأخرجوهم، حتى لحق طائفة منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله تعالى دار الهجرة، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين (الجامع لأحكام القرآن)

- **وقال تعالى: (قل ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)**

قال القرطبي:(قوله تعالى : قل يا عبادي الذين آمنوا أي قل يا محمد لعبادي المؤمنين " اتقوا ربكم " أي اتقوا معاصيه ، والتاء مبدلة من واو ، وقد تقدم . وقال ابن عباس : يريد جعفر بن أبي طالب والذين خرجوا معه إلى الحبشة .)

السبب العام للهجرة:

وصفت أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي ﷺ هذا الحدث فقالت: (لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء، والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله عليه وسلم إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا إليها أرسالاً - أي جماعات - حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمِنَّا على ديننا ولم نخش منه ظلماً) رواه البيهقي بسند حسن .

الأسباب التفصيلية للهجرة إلى الحبشة ومقاصدها:

- كثرة عدد المسلمين مما ولد أزمة نفسي في قريش دفعت بها إلى:
  - ✓ تعذيب المسلمين حتى ارتد بعضهم بعد أن فقدوا النصير.
  - ✓ عدم قدرة النبي على نصرتهم

- الحفاظ على الدعوة من الافتتان، وعدم تركها في مكان واحد قد تجتث فيه.
- أمر الرسول ﷺ لهم، فقال: تفرقوا في الأرض، قالوا: فأين نذهب يا رسول الله؟ قال: هاهنا، وأشار إلى أرض الحبشة (المغازي للزهري، ٩٦)
- نشر الدعوة لذلك اختار لها أشرف القوم.
- الحبشة متجر قرش
- حب الرسول ﷺ للحبشة
- الأحباش أهل كتاب، وملكها رجل صالح عادل، وهم أحق بالتصديق من غيرهم.

أحداثها:

خرج المسلمون مجموعات، وكان منهم:

- عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت الرسول ﷺ.
- وجعفر بن أبي طالب وزوجه أسماء بنت عميس، وعبد الرحمان بن عوف.
- والزبير بن العوام من بني أسد.
- وأبو سلمة بن عبد الأسد من بني مخزوم.
- وأبو حذيفة بن عتبة من بني عبد شمس.
- ومصعب بن عمير من بني عبد الدار، وهكذا معظم المهاجرين من أشراف مكة.

وقت الخروج:

- في رجب من السنة الخامسة للبعثة، وكانوا عشرة رجال وأربعة نسوة، خرجوا سرا عبر البحر
- تبعتهم قريش ففشلت في اللحاق بهم

أسباب اختيار الحبشة:

- لأنه بها ملكا عادلا

- بلد بعيد عن قريش، ومستقر سياسيا واقتصاديا وقوي عسكريا
- هم أهل كتاب، وأقرب إلى المسلمين من غيرهم
- هم متجر قريش

عودة المسلمين من الحبشة

بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة حدثت في مكة أمور عظام في ظاهرها بسيطة، ولكنها محطات تغيير هامة ليس في أوضاع مكة فقط، بل في خريطة العالم.

- مما حدث في مكة:

أولاً: آمن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأرضاه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: بعده بثلاثة أيام فقط آمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، فحدثت تغييرات جذرية في سياسة المؤمنين، منها ما يتعلق بقضية الهجرة إلى الحبشة، آمن عمر بن الخطاب فظهر الإسلام في مكة، وأعلن كثير من المسلمين إسلامهم، بعد أن أذن لهم رسول الله ﷺ، وكما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر رضي الله عنه وأرضاه، وقلّ إلى حد كبير التعذيب الوحشي الذي كانت تقوم به قريش للمؤمنين، وعاش المسلمون في مكة لحظات عظيمة من السعادة التي لم تمر بهم منذ زمن طويل، سعادة بإسلام البطلين العظيمين الجليلين: حمزة بن عبد المطلب ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وسعادة بإحساس الأمان النسبي الذي شعر به المسلمون للمرة الأولى منذ أكثر من خمس سنوات، وسعادة بشعور العزة والفخر بهذا الدين وباتباعه.

- طارت أنباء هذه السعادة إلى الحبشة، وتواصلت قلوب المؤمنين في الحبشة مع قلوب المؤمنين في مكة وشعروا بنفس السعادة، وشعروا فوقها بسعادة العودة إلى أرض الوطن وإلى أرض الأجداد والعشيرة وإلى البيت الحرام، شعر المسلمون أن وقت العودة إلى مكة سيكون قريباً إن شاء الله.
- تزامن مع حدث إسلام الصحابيين الجليلين: حمزة وعمر رضي الله عنهما حدث آخر عجيب تم في مكة في ساحة البيت الحرام في رمضان من السنة الخامسة من

البعثة، كان من أسلوب الكافرين لمنع الناس من التأثر بكلام الله عز وجل أن يمنعوا أنفسهم من السماع أصلاً؛ لأنهم يعلمون أنه لو سمع أحدهم القرآن فقد يؤمن به: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ [فصلت:26]، فكانت هذه هي سياستهم

- في رمضان من السنة الخامسة من البعثة حدث موقف طريف، إذ كان المشركون مجتمعين في البيت الحرام، وكان معهم المؤمنون أيضاً، وكان معهم رسول الله ﷺ، فوقف في وسط الناس وبدأ يقرأ سورة من سور القرآن الكريم تلاوة عليهم، وهي سورة النجم كاملة: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) [النجم:1/ 12].

- فانبهر المشركون بروعة الكلمات والآيات، وبالكلام العجيب الذي لا يقدر عليه بشر، ولم يحركوا ساكناً، نزلت الآيات كالقوارع على قلوبهم، خرست الألسنة، وتسمرت الأقدام، وتعلقت العيون برسول الله ﷺ، وبدأ رسول الله ﷺ يكمل القراءة بصوته العذب، بل بدأ يقرأ آيات تسفه أصنام قريش وآلهتهم المزعومة أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى [النجم:١٩-٢٣].

- ومع أن الآيات تهين آلهة قريش وتحقر من شأنها إلا أن المشركين لم ينطقوا بكلمة، بل ظلوا يستمعون القرآن وقد انبهروا انبهاراً كاملاً، وأكمل رسول الله ﷺ السورة بكاملها إلى أن وصل إلى آخرها، حتى قرأ آية السجدة: أَزِفَتِ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا [النجم:٥٧-٦٢]، ثم سجد رسول الله ﷺ وسجد المؤمنون، لكن المفاجأة الكبرى أن المشركين أيضاً لم يستطيعوا أن يمنعوا أنفسهم من السجود لله رب العالمين، فسجدوا جميعاً مع رسول الله ﷺ

اجتمع المشركون في مكة ممن لم يحضر المشهد في البيت الحرام، وأخذوا في إلقاء اللوم والتأنيب على المشركين الذين سجدوا مع رسول الله ﷺ، وأسقط في يد المشركين، ماذا يفعلون؟ ثم غلب عليهم شيطانهم وأوحى إليهم أن يفتروا الكذب على رسول الله ﷺ، فبماذا كذبوا؟ لقد أشاعوا أن رسول الله ﷺ قد قرأ آيات معينة تعظم من شأن اللات والعزى، ولذلك لما جاءت آية السجود سجدوا تعظيماً لآلهتهم، افتروا هذه الفرية؛ ليخرجوا بها من الإيمان الذي دخل قلوبهم رغماً عن أنوفهم.(أنظر سيرة الصلابي)

بعد اكتشافهم التلاعب، قرروا ما يلي:

- **التوصية الأولى: أن يعود غالبيتهم مرة ثانية إلى الحبشة دون دخول مكة. وهذا أمر شاق على النفس، ولكنه سيكون أكثر أمناً.**
- **التوصية الثانية: أن يدخل بعض المسلمين إلى مكة سراً متخفين لقضاء بعض المصالح لهم ولبقية المهاجرين، ثم العودة بعد ذلك إلى الحبشة، ومفهوم ذلك أنهم لن يبقوا في أرض مكة إلا فترة بسيطة؛ لأن مكة مدينة صغيرة ومن المستحيل أن يختبئ فيها رجل عن عيون الناس لفترة طويلة.**
- **التوصية الثالثة: أن يدخل بعضهم إلى أرض مكة جهاراً ولكن في جوار واضح وحماية معلنة، حتى لا يعرض للقتل أو للتعذيب الشديد، وهؤلاء سوف يشرحون لرسول الله ﷺ أحوال الحبشة، ويتبادلون الخبرة مع مؤمني مكة بخصوص أمر الهجرة.**
- **لكن قريشا نكلت بهم أكثر فأذن لهم الرسول ﷺ بالهجرة مرة أخرى بأعداد أكبر**
- **فعادوا وهم 83 رجلا و18 امرأة**
- **أرادوا الرسول معهم في الهجرة، لكنه قال: أنتم مهاجرون إلى الله تعالى وإلي، لكم هاتان الهجرتان جميعا، قال عثمان: فحسبنا يا رسول الله.**

رد قصة الغرانيق

- نشرها كثير من المستشرقين وأتباعهم، فمنهم من يذكرها دون تعليق، ومنهم من يذكرها إثباتا لها، وفيها بعد سبه اللات والعزى، (تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتها لترجى)، قال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، وقد علمنا أن الله يرزق ويحيي ويميت، ولكن آلهتنا تشفع عنده، فلما بلغ السجدة سجد وسجد معه المسلمون والمشركون كلهم، إلا شيخا من قريش رفع إلى جبهته كفا من حصى، فسجد عليه» (سيرة الصلابي)
- أنكر جمهور العلماء هذه القصة نقلا وعقلا، لأنها تتنافى مع:
- القرآن الكريم الذي قال: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين) (الحاقة، 44-46)
- تتنافى مع حفظ الله للقرآن، قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)
- من حيث السند لا يصح شيء منها، قال القاضي عياض: أن من ذكرها من المفسرين وغيرهم، لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب، إلا رواية البزار، وقد بين البزار: أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره، وفيه ما فيه.(نقلا عن الصلابي ص: ٣٣٨.
- ورأى ابن حجر: وما قيل من أن ذلك – السجود من المشركين- بسبب إلقاء الشيطان في أثناء قراءة رسول الله ﷺ، لا صحة له عقلا ولا نقلا.
- وقال ابن كثير: لم أرها مسندة من وجه صحيح.
- أما من حيث العقل: عصمة الرسول وتعارضها مع ذلك.
- أما من حيث اللغة: فلم يثبت أن العرب وصفوا آلهتهم في الشعر والنثر بالغرانيق، أما الغرنوق فهو اسم لطائر مائي أسود أو أبيض، ومن معانيه الشاب الأبيض الجميل (القاموس المحيط، مادة الغرنوق). فكيف تهين العرب آلهتها؟؟؟؟؟

محاولة قريش استرداد الصحابة:

- بعد علمها بتمكنهم من الاستقرار بالحبشة من حيث العبادة والمعاش، أرسلوا وفدا منهم إلى النجاشي هما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، وقد عمدوا بهدية (رشوة) لكل بطريق من بطارقته وطلبوا منهم دعم مطلبهم بإرجاع الصحابة، وجاؤوه بهدايا كثيرة قيمة
- فشل قريش في استرجاع المسلمين بعد بيان جعفر رضي الله عنه، قال:

"أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنَّا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشركْ به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء، قال له جعفر: نعم، فقال النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من كيعص، فبكى النجاشي، حتى اخضل لحيته، وبكت أساقفته، ثم قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما أبدا ولا يكادون" (سيرة ابن هشام)

- محاولة جديدة من كيد عمرو من خلال محاولة إظهار سب القرآن لمريم، لكنها كانت سببا في إسلامه بعد أن بين جعفر ذلك من خلال قوله: نقول فيه الذي جاء به نبينا، هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.
- رد عمرو بهداياها التي اعتبرها النجاشي رشوة غير مقبولة.

الدلالات والعبر:

1- الصبر على الشدّة والبلاء في سبيل الله فلقد لاقى النبي ﷺ وأصحابه في مكة المكرمة، من الشدّة والأذى ما يصعب على غيرهم احتمالُه.

2- ثبات المؤمنين على عقيدتهم ودينهم الحنيف، دون الخضوع لضغوط الأعداء.

3- شفقة النبي ﷺ على أصحابه ورحمته بهم، حيث أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة، وحرص القائد على أتباعه.

4- وهكذا هيأ الله لعباده المؤمنين المستضعفين المأوى والحماية من أذى قريش وأمَّنهم على دينهم وأنفسهم ، وكان في هذه الهجرة خير للمسلمين، إذ استطاعوا -فضلاً عن حفظ دينهم وأنفسهم - أن ينشروا دعوتهم، ويكسبوا أرضاً جديدة تكون منطلقاً لتلك الدعوة، ومن كان مع الله كان الله معه..

5- حماية الدعوة من الانقراض حتى إن ضرب قلبها، وتفكيك تركيز المحاربين.

6- هناك منصفون من غير المسلمين، لكن المشكلة في عدم التبليغ.

7- العدو قد يعميه حقده، فيقد خدمات للدين من حيث لا يشعر.

8- منهج الكفار الرشوة وشراء الضمائر للتمويه على الحكام.

9- ثبات النجاشي وتذكره فضل الله تعالى عليه.

المقاطعة والحصار بعد فشل محاولات الإغراء والتخويف

- **محاولة قتل الرسول ﷺ في أواخر السنة السابعة من البعثة:**

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ وَهَذَا لَفْظُ حَدِيثِ الْقَطَّانِ ، قَالَ : (ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ اشْتَدُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَأَشَدِّ مَا كَانُوا حَتَّى بَلَغَ الْمُسْلِمِينَ الْجَهْدُ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلاءُ ، وَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ فِي مَكْرِهَا أَنْ يَقْتُلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلانِيَةً ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ عَمَلَ الْقَوْمِ جَمَعَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُدْخِلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِعْبَهُمْ ، وَيَمْنَعُوهُ مِمَّنْ أَرَادَ قَتْلَهُ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ فَعَلَهُ حَمِيَّةً ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَعَلَهُ إِيمَانًا وَيَقِينًا ، فَلَمَّا عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ مَنَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجْتَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ ، اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَجْمِعُوا أَمْرَهُمْ أَنْ لا يُجَالِسُوهُمْ وَلا يُبَايِعُوهُمْ ، وَلا يَدْخُلُوا بُيُوتَهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْقَتْلِ) دلائل النبوة للبيهقي.

أحداث ما بين الهجرتين إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة المنورة:

- **الصحيفة واحتياط أبي طالب لرسول الله ﷺ:**

وكَتَبُوا فِي مَكْرِهِمْ صَحِيفَةً وَعُهُودًا وَمَوَاثِيقَ لا يَقْبَلُوا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَبَدًا صُلْحًا وَلا تَأْخُذُهُمْ بِهِ رَأْفَةٌ حَتَّى يُسْلِمُوهُ لِلْقَتْلِ ، فَلَبِثْ بَنُو هَاشِمٍ فِي شِعْبِهِمْ يَعْنِي ثَلاثَ سِنِينَ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلاءُ وَالْجَهْدُ ، وَقَطَعُوا عَنْهُمُ الأَسْوَاقَ ، فَلا يَتْرُكُوا طَعَامًا يَقْدَمُ مَكَّةَ وَلا بَيْعًا إِلا بَادَرُوهُمْ إِلَيْهِ فَاشْتَرَوْهُ ، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يُدْرِكُوا سَفْكَ دَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ إِذَا أَخَذَ النَّاسُ مَضَاجِعَهُمْ أَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاضْطَجَعَ عَلَى فِرَاشِهِ حَتَّى يَرَى ذَلِكَ مَنْ أَرَادَ مَكْرًا بِهِ وَاغْتِيَالَهُ ، فَإِذَا نَوَّمَ النَّاسُ أَمَرَ أَحَدَ بَنِيهِ أَوْ إِخْوَتِهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ ، فَاضْطَجَعَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَ بَعْضَ فُرُشِهِمْ فَيَنَامَ عَلَيْهِ

- **بوادر نقض الصحيفة:**

فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ ثَلاثِ سِنِينَ تَلاوَمَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَمِنْ بَنِي قُصَيٍّ ، وَرِجَالٌ سِوَاهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ وَلَدَتْهُمْ نِسَاءٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا الرَّحِمَ واسْتَخَفُّوا بِالْحَقِّ ، وَاجْتَمَعَ أَمْرُهُمْ مِنْ لَيْلَتِهِمْ عَلَى نَقْضِ مَا تَعَاهَدُوا عَلَيْهِ مِنَ

الْغَدْرِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ ، وَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى صَحِيفَتِهِمُ الَّتِي الْمَكْرُ فِيهَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَرَضَةَ فَلَحَسَتْ كُلَّ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ ، وَيُقَالُ : كَانَتْ مُعَلَّقَةً فِي سَقْفِ الْبَيْتِ ، وَلَمْ تَتْرُكِ اسْمًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا إِلا لَحَسَتْهُ ، وَبَقِيَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ أَوْ ظُلْمَةٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، وَأَطْلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ بِصَحِيفَتِهِمْ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : لا ، وَالثَّوَاقِبِ مَا كَذَبَنِي ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي بِعِصَابَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ ، وَهُوَ حَافِلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ عَامِدِينَ لِجَمَاعَتِهِمْ ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ شِدَّةِ الْبَلاءِ ، فَأَتَوْا لِيُعْطُوهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَكَلَّمَ أَبُو طَالِبٍ ، فَقَالَ : قَدْ حَدَثَتْ أُمُورٌ بَيْنَكُمْ لَمْ نَذْكُرْهَا لَكُمْ ، فَائْتُوا بِصَحِيفَتِكُمُ الَّتِي تَعَاهَدْتُمْ عَلَيْهَا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ صُلْحٌ ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ خَشْيَةَ أَنْ يَنْظُرُوا فِي الصَّحِيفَةِ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا بِهَا ، فَأَتَوْا بِصَحِيفَتِهِمْ مُعْجَبِينَ بِهَا لا يَشُكُّونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَدْفُوعٌ إِلَيْهِمْ ، فَوَضَعُوهَا بَيْنَهُمْ ، وَقَالُوا : قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا وَتَرْجِعُوا إِلَى أَمْرٍ يَجْمَعُ قَوْمَكُمْ ، فَإِنَّمَا قَطَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ جَعَلْتُمُوهُ خَطَرًا لِهَلَكَةِ قَوْمِكُمْ ، وَعَشِيرَتِكُمْ وَفَسَادِهِمْ ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : إِنَّمَا أَتَيْتُكُمْ لأُعْطِيَكُمْ أَمْرًا لَكُمْ فِيهِ نَصَفٌ ، إِنَّ ابْنَ أَخِي قَدْ أَخْبَرَنِي وَلَمْ يَكْذِبْنِي : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَرِيءٌ مِنْ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي فِي أَيْدِيكُمْ ، وَمَحَا كُلَّ اسْمٍ هُوَ لَهُ فِيهَا ، وَتَرَكَ فِيهَا غَدْرَكُمْ وَقَطِيعَتَكُمْ إِيَّانَا وَتَظَاهُرَكُمْ عَلَيْنَا بِالظُّلْمِ ، فَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ الَّذِي ، قَالَ ابْنُ أَخِي كَمَا قَالَ ، فَأَفِيقُوا ، فَوَاللَّهِ لا نُسْلِمُهُ أَبَدًا حَتَّى نَمُوتَ مِنْ عِنْدِ آخِرِنَا ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي قَالَ بَاطِلا دَفَعْنَاهُ إِلَيْكُمْ فَقَتَلْتُمْ أَوِ اسْتَحْيَيْتُمْ ، قَالُوا : قَدْ رَضِينَا بِالَّذِي يَقُولُ ، فَفَتَحُوا الصَّحِيفَةَ ، فَوَجَدُوا الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخْبَرَ خَبَرَهَا ، فَلَمَّا رَأَتْهَا قُرَيْشٌ كَالَّذِي قَالَ أَبُو طَالِبٍ ، قَالُوا : وَاللَّهِ ! إِنْ كَانَ هَذَا قَطُّ إِلا سِحْرًا مِنْ صَاحِبِكُمْ ، فَارْتَكَسُوا وَعَادُوا بِشَرِّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِمْ وَالشِّدَّةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ رَهْطِهِ ، وَالْقِيَامِ بِمَا تَعَاهَدُوا عَلَيْهِ. دلائل النبوة.(أنظر سيرة ابن هشام)

- **نقض الصحيفة بعد رفض قريش ثلة من ذوي الغيرة من قريش وهم:**

هشام به عمرو الهاشمي وزهير بن أمية المخزومي والمطعم بن عدي وزهير بن أبي أمية وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود بن عبد المطلب، وكان البدء من زهير. وبذلك فشلت خطة أبي جهل

الدلالات والعبر:

- إحكام الوثيقة للحصار على المسلمين وداعميهم من المشركين.
- أهمية عدم عزل الدعوة نفسها عن محيطها الاجتماعي كيفما كان.
- تفريج الكرب قد يأتي ممن لا نتوقع.
- حرص المشركين على إحكام الخطة من خلال منع الزواج الذي قد يؤدي إلى التآلف والتراحم بين الأصهار.
- منع التجارة مع المسلمين يدل على أهمية الشق الاقتصادي في الحصار.
- منع الصلح حتى لا يكسر الحصار مع بعض قريش.
- قطعة الرحم
- تقديس الوثيقة بتعليقها في الكعبة، وهي دلالة على أن الباطل يحتاج إلى الشرعية الدينية لحماية ظلمه أحيانا.
- أهمية الإعلام في كسر الحصار كما فعل أبو طالب:

من خلال قصيدته التي مطلعها:

ولما رأيت القوم لا ود عندهم «» وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد حالفوا قوما علينا أظنة «» يعضون غيظا خلفنا بالأنامل (السيرة لابن هشام)

- الحس الأمني الرفيع لأبي طالب في حماية الرسول ﷺ في الشعب

- ثبات المسلمين أثناء الحصار

- دعم عبد الرحمان بن عوف لهم بتجارته كلها

- نشر الإسلام بعد انتشار خبر ثبات المسلمين أمام هذه المحنة، وسقوط هيبة قريش التي تحولت إلى سلطة ظالمة لا رحمة فيها خلاف كرم العرب.

وبالله التوفيق

عام الحزن:

- تاريخ: في السنة العاشرة بعد البعثة
- سبب التسمية: وفاة العم والزوجة (في خمسة أيام فقط)

دلالات ذلك:

- الارتباط بالله دون سواه، التوكل على الله فقط، الوفاء لكل من أحسن، الوفاء للزوجة

منحة معجزة الإسراء والمعراج:

وقعت معجزة الإسراء والمعراج وقد اختلف في تاريخ وقوعها، والمؤكد أنها وقعت قبل الهجرة في السنة العاشرة من بعثته أو بعدها، كما قال القاضي عياض والصحيح الذي عليه جماهير العلماء أنهما وقعا في ليلة واحدة يقظة بالجسد والروح، أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماوات، ثم عاد إلى بيته في مكة تلك الليلة، وأخبر قريشا بأمر المعجزة، فهزئت وسخرت، وصدقه أبوبكر وأقوياء الإيمان. (أنظر سيرة الصلابي)

دلالات الإسراء والمعراج:

- مواساة رسول الله ﷺ، يا محمد إن كان أهل الأرض كذبوك فتعالى إلينا نواسيك.
- فرض الصلوات الخمس، ودلالاتها.
- ربط المسجد النبوي بالمسجد الأقصى.
- التأكيد على وحدة هذه الأمة قبل تمام انتشار الإسلام.
- زيادة ابتلاء المسلمين، واختبار صدقهم قصد إعدادهم لمرحلة الهجرة وبناء الدولة، وتخليص صف الدعوة من الضعفاء المترددين (الصلابي)
- صدق أي بكر الصديق رضي الله عنه
- وحدة رسالة الأنبياء وتبعهم للرسول ﷺ.
- أهمية المسجد الأقصى ومسؤولية المسلمين تجاهه
- رحمة رسول الله بقومه ولو حاربوه ورجاء الخير لهم، من خلال رده على تخيير جبريل وملك الجبال بين إهلاك القوم أو العفو عنهم.